الطبع والسببية عند الباقلاني

الدكتور محمد باسل الطائي
قسم الفيزياء ـ كلية العلوم ـ جامعة اليرموك
الأردن

للنشر في مجلة دراسات الجامعة الأردنية حزيران 2006

الكلمات الدالة: السببية، الباقلاني، المتكلمون

الملخص

نعرض في هذا البحث لموقف أبي بكر الباقلاني من مسألة الطبع والقول بأن صانع العالم إنما هو طبيعة من الطبائع وجب حدوث العالم عن وجودها. وهذه الرؤية تؤلف أصول موقف الأشاعرة من مسألة السببية. وإذ يُنكر الباقلاني القول بوجود الطبائع أو كونها فاعلة بذاتها فإنه إنما يلجأ إلى تفنيد الرأي المخالف معتمداً المنطق الكلامي السائد في عصره والمميز بأسلوبه الجامع. وقد قمنا في هذا البحث بتمييز ثلاثة وجوه للرد على القول بالطبع والطبائع، كما قمنا بتمحيص مسارات البرهنة التي اعتمدها الباقلاني في نفيه لأقوال افتراضية للخصوم، مبينين ما تضمنته تلك المسارات من فروض ضمنية ورؤى كلامية تختفي خلف الحكم الذي يتوصل إليه الباقلاني في كل خطوة. الأمر المهم في هذا البحث هو الكشف عن حقيقة أن الأشاعرة رفضوا القول بالطبائع الأربعة التي قال بها كثير من الفلاسفة وقال بها بعض المعتزلة، إلى جانب إقرارهم بوجوب وجود كل معلول بعلة. كما نؤكد رفض الباقلاني وبقية الأشاعرة لتميّز الأجرام السماوية، بما فيها الشمس والقمر، واختصاصها بتركيب معين خلافاً لتركيب الأرض، كما رفض التنجيم ونقده. وهذا الذي نكشف عنه هنا مخالف للشائع من الظن أن المتكلمين عامة والأشاعرة منهم على وجه الخصوص رفضوا السببية وقالو بالجبر المطلق. ويمكن القول إن هذا السبق المعرفي الذي تبناه الأشاعرة في رفض أن يكون العالم مركبا من الطبائع الأربعة إنما يعبر عن أصول موقفهم من خلق العالم، هذه الرؤية التي تبناها لاحقا أبو حامد الغزالي في كتابه